أشباه الصوائت في اللغة العربية
(نظامها و وظائفها)

د. محمد أمنزوي [*]

1- المفهوم:

1.1- يطلق مصطلح "شبه الصائت" (Semi-voyelle) في اللسانيات المعاصرة على الأصوات اللغوية التي لها بعض خواص الصوائت من جهة وبعض خواص الصوامت من جهة أخرى. وأكثرها شيوعا في اللغات البشرية الصوتان المرموز لهما في الألفباء الصوتية الدولية (A.P.I) بالرمزين [W] و[j]. ولكن المصطلح نفسه قبل أن يستقر على هذا المفهوم له تاريخ طويل لا يتسع المقام هنا لسرده، غير أننا سنطل على محطة واحدة من هذا التاريخ، فنورد النص الكامل لتعريف "أرسطو" بالمفاهيم الثلاثة (صامت / صائت / شبه صائت)، حسب تصنيف اليونان في عصره، لما قد يتيحه لنا هذا النص من مقارنات مفيدة.

2.1- يقول أرسطو(ترجمة ع.بدوي):

« وتنقسم الحروف إلى: مصوِّت، ونصف مصوِّت، وصامت. والمصوِّت هو الحرف الذي له صوت مسموع من غير تقارب(اللسان والشفاه)، ونصف المصوِّت هو الحرف الذي له صوت مسموع مع هذا التقارب، ومثاله حرفا Σ وP ، والصامت هو الذي فيه هذا التقارب ولكن ليس له بذاته أي صوت، وإنما يصبح مسموعا إذا كان مصحوبا بحروف لها صوت، مثاله الحرفان Γ و Δ » [1]

ففي هذا النص نرى أرسطو يميز بين أصناف ثلاثة من الأصوات، اعتمادا على أساسين أحدهما فيزيائي والآخر نطقي؛ فهذا الصنف الثاني، الذي سماه بـ**نصف المصوِّت** وسماه **أفلاطون** في بعض محاوراته بـ**المتوسط** (أي بين الصائت والصامت)[2]، يتميز بأن له صوتا مسموعا؛ وهذا أساس فيزيائي كما يرى بعض الباحثين، وبأن الأعضاء النطقية تتقارب فيما بينها أثناء إنتاجه؛ وهذا أساس نطقي كما هو واضح.

(*)أستاذ النحو والصرف كلية الآداب-جامعة القاضي عياض بمراكش

ويلاحظ أن **نصف المصوِّت**[3] عند أرسطو يشارك المصوِّت في ميزته الأولى فقط (له صوت مسموع) ويخالفه في الثانية، وبالعكس فهو يشارك الصامت في ميزته الثانية فقط (تقارب الأعضاء) ويخالفه في الأولى؛ فهو إذاً متوسط بينهما كما نعته "أفلاطون" قبل "أرسطو"، لأنه يجمع بين صفتيهما.

إن مفهوم أنصاف المصوتات عند اليونان بعيد كل البعد عما تسميه اللسانيات المعاصرة بأشباه الصوائت، لأنه يشمل عندهم بعض الأصوات المركبة ومجموعة الحروف السائلة، بالإضافة إلى صوت السين، لكن مصطلحهم[4] قد نتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة بعد أن جرد تماما من المفهوم الاصطلاحي الإغريقي وحُمِّل مفهوما جديدا...ولهذا سنتجاوز تعريف"أرسطو" لنبحث عن المفهوم الجديد للمصطلح في اللسانيات الحديثة.

3.1– تؤرخ المصادر اللغوية الغربية ظهور المصطلحين consonne و Semi-voyelle بسنتي 1845و1893 على التوالي[5]، أما مفهوم المصطلحين عند اللسانيين المحدثين فلم يحظ بنفس القدر من الاهتمام الذي حظي به المفهومان الآخران Voyelle و Consonne، فمن بين تسعة تعاريف درسناها لمفهوم **الصائت** قد اكتفت ثمانية بالمقارنة بين الصائت والصامت، وصرح واحد منها فقط بمفهوم **نصف المصوِّت** بجانب المفهومين الآخرين، وهو تعريف أرسطو السابق، غير أن بعض اللسانيين الذين يتحر ن الدقة المنهجية في صوغ تعاريفهم وجدو أنفسهم مضطرين، وهم يصنفون أصوات اللغة، إلى الوقوف (استدراكيا في كثير من الأحيان) عند نوع من الأصوات لا يصح إدماجه ضمن الصوائت ولا ضمن الصوامت إلا تجاوزا، ومن ثم حاولوا استثناء هذه الأصوات من الصنفين الرئيسيين، دون أن يجعلوها صنفا ثالثا مستقلا.

فبينما يرى "ف.دُ.سوسير" مثلا أنه لا فرق بين i "الرنانة"[6] في fidelle وi "الصماء"[7] في pier إلا في الوظيفة المقطعية[8]..نجد "روسلو/لاكلوط" يصنفان أشباه الصوائت ضمن الصوامت وينعتانها بـ **الصو□ئت المصمَّتة**، مع تمييزها تمييزا يعتمد على مقياس صوتياتي نطقي يتمثل في قصر مدة التحقق النطقي في أشباه الصوائت إذا قيست بالصوائت[9]، وهذا ما يقصده بعض اللسانيين الآخرين حين يصفون أشباه الصوائت بأنها أصوات **انتقالية** أو **انزلاقية**.

وتعكس المعاجم الاصطلاحية بدورها وجهات النظر المختلفة لأشباه الصوائت، فيعرفها كل معجم تعريفا يختلف عن الآخر. ونكتفي هنا بإيراد تعريف **معجم اللسانيات** الذي أشرف على تأليفه "ج.مونان"، لمافيه من شمول وتفصيل، فهو يقول:« يقصد بالمصطلحين شبه صائت وشبه صامت المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين الإنتاجات الصوتية (خصوصا [j]، [w]، [Ч] التي يمكن النظر إليها على أنها صنف وسط بين الصوامت والصوائت، لخصائصها النطقية (الانفتاح) وتوزيعها داخل المقطع »، ثم يذكـــر أن بعض علماء الأصوات يميزون بين شبه الصائت وشبه الصامت ؛ فهو شبه صامت حين يقع قبل قمة المقطع كما في كلمتي "تِبْيَان" [tibja:n] و"أَقْوَال" [ʔaqwa :l]،وهو شبـه صائـت حين يقع بعد القمة المقطـعية كما في كلمتي "بَيْـض" [baĭδ] و"حَـوْض" [ħawδ]. ويقترح وضع رمزين صوتيين كتابيين للحالتين (كما نشاهد في الكتابة الصوتية للأمثلة)، ثم يشير إلــى أن علماء الأصوات الإنـ ليز

يستعملون مصطلحا عاما هو **الانزلاقي**(Glide) الذي يتميز، على صعيد السمات الفيزيائية بأنه ليس صائتيا ولا صامتيا[10].

4.1– أن هذا التعريف قابل للنقاش، غير أن الوقت الضيق يستحثنا كي ننتقل إلى اللسانيين العرب والمستعربين، لنلاحظ أن المعاصرين منهم يرددون في الغالب آراء اللسانيين الغربيين، مستشهدين بصوتي الواو والياء الصامتين في العربية.

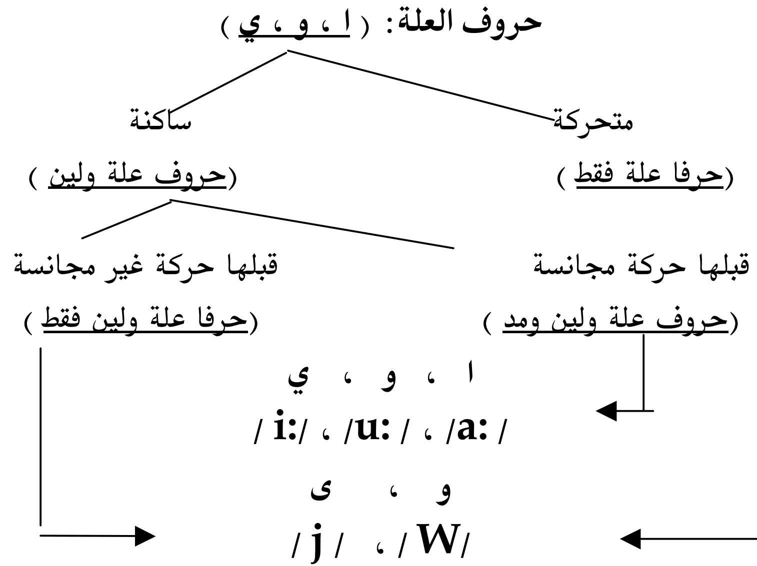
فمن إبراهيم أنيس و "ج.كانتينو"إلى محمود السعران والطيب البكوش نجد تعريفات لا تخرج عن نطاق تعريفات الغربيين على العموم.

5.1- وأوضح تعريف يمكن أن نتبناه ونعتبره موافقا لأشباه الصوائت العربية هو التعريف الذي أوردته الدكتورة تغريد عنبر في نهاية كتابها **دراسات صوتية** وإن كان يشمل أصواتا أخرى لا يعدها كل اللسانيين من أشباه الصوائت. تقول (في ص 324، مع توضيحات سابقة في ص 228، 311): « الصامت المضيَّق يتكون عن طريق عقبة غير محكمة واسعة نسبيا بحيث لا يضطرب الهواء اضطرابا شديدا عند مروره فيها ».

6.1– أما اللغويون العرب القدماء فإن أغلبهم لم يصرحوا أصلا بالتقسيم الثنائي (صامت /صائت) الذي ينبني عليه إشكال هذا الصنف الثالث المسمى " شبه الصائت" أو"شبه الصامت" ولكن النظام الفونولوجي للعربية يشتمل على فونيمين شبهي صائتين هما الواو والياء في مثل "وَيْح"و"يَوْم" ؛ فما نظرة القدماء إلى هذين الصوتين ؟

يقول سيبويه عن الياء في " أن أُعْطِيَه " إنها « لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل، نحو باء "ضَرَبَه "، وبعد شبهها من الألف..»[11]، فيؤسس هذه الفكرة للاحقين بعده كي يرددوها أو يوسعوها أو ينقحوها؛ أما مرددوها فلا داعي للوقوف عندهم، وأما الموسعون والمنقحون فنذكر منهم أبا الفتح ابن جني، إذ يفسر جواز أمثال "غُيُر" و"عِوَض" في اللغة وعدم جواز أمثال "*مُيْسِر" و"*عِوْد" فيقول: « إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما[12].

ويزداد تميز الواو والياء شبهي الصائتين وضوحا عند مكي القيسي وأبي عمرو الداني (القرن4 الهجري) وأمثالهما من المتأخرين إذ يقول القيسي: «حرفا اللين وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما، فسميتا بحرفي اللين»[13]، ويقول الداني: «فإن انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المد، وانبسط اللسان بهما، وصارا بمنزلة سائر الحروف الجامدة..»[14]. ونلخص نظرة المتأخرين إلى حروف العلة عموما في هذا المشجر:[15]



ولا يلتزم هذه الاصطلاحات الدقيقة إلا خاصة الخاصة منهم، فالتفتازاني (793-) يقول مستدركـا: « ولكنهم يطلقون على هذه الحروف حروف المد واللين مطلقا »(16)، والشريف الجرجاني(816-) تلميذه يقول معرفا «حروف اللين: هي الواو والياء والألف »(17)

7.1- ومن المفاهيم ذات الصلة الوثيقة بمفهوم شبه الصائت ذلك الذي يصطلح على تسميته بـ **الصائت المزدوج** أو الصائت المركب، ترجمة للمصطلح الغربيDiphtongue. وأهم القضايا التي يثيرها هذا المفهوم تتلخص في ثلاثة أسئلة لا يتسع المجال هنا للإجابة عنها جميعا:

1- ما هو الصائت المزدوج ؟

2- هل هو صوت واحد، أم هو صوتان كما قد يفهم من اسمه ؟

3- ما علاقته بـ **شبه الصائت** ؟

2- المصطلح:

يعبر عن مفهوم شبه الصائت في اللسانيات الغربية عادة بأحد المصطلحين Semi-Voyelle وSemi-Consonne أوبهما معا، مع محاولة بعضهم للتمييز بينهما على أساس التوزيع المقطعي كما مر في بعض الفقرات السابقة (3.1-)،ولكن هناك مصطلحات أخرى كانت تنازع هذين المصطلحين قبل أن يشيعا ويتغلبا على ما عداهما.

وأما في اللسانيات العربية فقد أجرينا استقراء في 44 مرجعا عربيا بين كتاب ومعجم ومقالة، بعضها أصيل وبعضها مترجم، فخرجنا منه بنتائج لخصناها في جدول رقم 1 يمكن أن نستخلص منه الحقائق التالية:

1- ترجمة أربعة مصطلحات غربية لمفهوم واحد بـ 22 مصطلحا عربيا للمفهوم نفسه؛ 13 منها مقابل Semi – Voyelle (Semi – Vowel)، و4 مقابل Semi-consonne (Semi- consonant)، و4 مقابل Glide وواحد مقابل (Narrow consonant).

2- تراوح ورود المصطلحات الغربية المترجمة خلال 44 مرجعا عربيا ما بين مرة واحدة و47 مرة؛ فقد ترجم المصطلح Semi –Voyelle أوSemi – Vowel 47 مرة، يليه المصطلح Semi-Consonne أو Semi-consonant بـ 11 مرة، فالمصطلح Glide بـ 9 مرات، وأخيرا Narrow -consonant بمرة واحدة. أما مقابلاتها العربية فقد تراوح ورودها خلال نفس المراجع ما بين مرة واحدة وإحدى عشرة مرة، وأكثرها ورودا ثلاثة كلها ترجمة للمصطلح الغربي الأول الذي ذكرنا من قبل (3.1-)شيئا من تاريخه في اللسانيات الغربية.

جدول رقم (1) لبعض الترجمات العربية المقترحة

لمصطلحات مفهوم شبه الصائت في اللغات الأجنبية، من خلال 44 مرجعا

المصطلح	اعتَمَدَه	قَبلَه	المجموع	تاريخ ظهوره	نسبة شيوعه% (*)	المصطلح الأجنبي
1)شبه حركة	4		4	1929(بركشتراسر)	9.09	Semi-voyelle
2)شبه صوت لين	1	1	2	1944(إ.أنيس)	4.54	" "
3)نصف مصوِّت	2		2	1952(ع.ر.بدوي)	4.54	" "
4)نصف علة	3		3	1955(ت.حسان)	6.82	" "
5)شبه صائت	5	2	7	1962(م.السعران)	15.90	" "
6)نصف حركة	8	3	11	1966(ص.القرمادي)	25	" "
7)نصف صائت	4	2	6	1967(ش.عياد)	13.63	" "
8)شبه طليق	1		1	1969(م.الأنطاكي)	2.27	" "
9)(حرف)لين	3	1	4	1973(ت.حسان)	9.09	" "
14)شبه علة	1	1	2	1979(د.عبده)	4.54	" "

15)شبه مصوِّت	3		3	1979(أ.بتي)	6.82	" "
17)حركة وسطى	1		1	1980(م.الحناش)	2.27	" "
20)نصف مد	1		1	1984(غ.المطلبي)	2.27	" "
10)نصف حرف	1		1	1973(ط.البكوش)	2.27	Semi-consonne
11)نصف ساكن		1	1	1973(أ.م.عمر)	2.27	" "
13)نصف صامت	1	3	4	1977(ع.ص.شاهين)	9.09	" "
19)شبه صامت	2	3	5	1981(ص.حسنين)	11.36	" "
12)انحداري	1		1	1973(أ.م.عمر)	2.27	Glide
18)انزلاقي	4		4	1980(س.مصلوح)	9.09	"
21)علة	2		2	1987(إ.السغروشني)	4.54	"
22)انتقالي	1	1	2	1989(الموحد)	4.54	"
16)(صامت)مضيَّق	1		1	1980(ت.عنبر)	2.27	Narrow(consonant)
(*) بين المراجع الـ44 المستشارة ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعضها استعمل أكثر من مصطلح واحد .						

وهذه الثلاثة البارزة هي:

- رقم 6 في الجدول : نصف حركة، ورد في 25% من المراجع .
- رقم 5 في الجدول: شبه صائت، ورد في حوالي 16% من المراجع.
- رقم 7 في الجدول: نصف صائت، ورد فيما يقارب 14% من المراجع.

فهذه الثلاثة هي التي يستحق الوقوف عندها لمناقشتها وتبرير اختيارنا لأوسطها شيوعا (شبه الصائت) مع أن أولها يفوقه بنسبة عالية من حيث الشيوع. وهذه المصطلحات الثلاثة كما نشاهد كلها مركبة من المضاف والمضاف إليه، أما المضاف إليه (حركة، صائت) فقد ناقشناه في بحث آخر غير هذا، وأما المضاف (نصف، شبه) الذي هو ترجمة للسابقة اللاتينية Semi فهو الذي سنحاول مناقشته هنا، مبررين تفضيلنا لكلمة "شبه" على منافستها "نصف" التي

يبدو أن أحد مقاييس مكتب تنسيق التعريب لاختيار المصطلح العربي(مقياس الشيوع) يقف في صفها، في المراجع المستقرأة على الأقل، حيث وردت فيها "نصف" 39 مرة بينما وردت "شبه" 24 مرة ؛ ولم نأخذ بهذا المقياس هنا لأنه مبني على إحصائنا الفردي الذي لم ندّع له الشمول، ولأنه شيوع نسبي بأغلبية لا نعتبرها كافية للترجيح[18]. وأخيرا للوقوف في صف **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات** نفسه الذي تبنى ترجمة السابقة Semi بـ"شبه" في عدد من مداخله.

ومما قد يؤيد وجهة نظرنا أننا إذا ألقينا نظرة في أي معجم فرنسي أو نـ ليزي على المداخل التي تشتمل على هذه السابقة Semi، ومعظمها مصطلحات علمية وتقنية، وجدنا أن ترجمتها بـ" نصف" لا تستقيم في أغلب الحالات،إلا إذا أبعدنا عن كلمة نصف معناها الكمي الرياضي وحمّلناها معنى مجازيا، ونحن لسنا في حاجة إلى هذا التأويل مادام بإمكاننا أن نستعمل كلمة "شبه" التي تعبر مباشرة عما يقصد بتلك المصطلحات، دون تشويش أي معنى رياضي كمي؛ والمعاجم نفسها لا تحصر معنى هذه السابقة في "النصف"بل إن من معانيها "جزئيا" و"تقريبا" و"شبه" ...[19]

وقد حاول بعض الباحثين أن يبرر ترجمة هذه السابقة بـ"النصف" فتخيل أن علماء الأصوات أطلقوا عليه هذا المصطلح (semi –vowel) لأن صوت المد الطويل حين يتحول إلى نصـــف مد يفقد نصف كميته»[20]. وما كان أغنى هذا الباحث عن هذا التخيل لو نظر إلى السابقة على أنها "شبه"، وهو نفسه يقول: «بيد أنه قد ينشأ في بعض الحالات شيء قليل من الاحتكاك في أثناء نطق هذه الأصوات(أي أصوات المد) بسبب من ارتفاع اللسان ارتفاعا يمنع تلك الحرية في خروج الهواء وحينذاك تنشأ عنها طائفة من الأصوات نطلق عليها مصطلح أنصاف المد»[21]، ومعنى هذا الكلام بصراحة أن هذه الأصوات صوائت قريبة من الصوامت،أو بالعكس هي صوامت قريبة من الصوائت، وهذا ما يبرر تسميتها بـ"أشباه الصوائت" اختصارا. وحتى إذا نظرنا إلى قضية الانفتاح في هذه الأصوات، لنقول إن انفتاحها متوسط بين انفتاح الصوائت الضيقة وانفتاح الصوامت الاحتكاكية، فهذا لا يبرر تسميتها بـ"أنصاف.."، لأن التوسط هنا نسبي وليس حقيقيا، إضافة إلى أن هذا التوسط نفسه فيه نقاش كما سبق[22].

وممن ناقش هذه المسألة الدكتور عبد الرحمن أيوب والدكتور محمد محمود غالي، حيث أيد هذا الأخير ترجمة إبراهيم أنيس للسابقة (semi) بـ"شبه"مستدلا بتعريف قاموس أكسفورد لشبه الصائت[23].

3- أشباه الصوائت في اللغات وفي العربية :

1.3- ذكرنا في بداية هذا البحث أن أكثر أشباه الصوائت شيوعا في اللغات البشرية هما الصوتان[j] و[W] ورأينا أن معظم اللسانين غربيين وعربا يربطون حديثهم عن أشباه الصوائت بهذين الصوتين؛ غير أن بعضهم وسع هذا المفهوم ليشمل أصواتا أخرى غير "الياء" و "الواو" المذكورين، خصوصا الذين استعملوا مصـــطلحات غير "أشباه الصوائت"، ونذكر مـــــنهم " ليزون" و "أبركرومبي" و "تشومسكي/ هالي" وتغريد عنبر والجمعية الصوتية الدولية[24]

). ونظرا لاختلاف المصطلحات والرموز الصوتية التي استعملها هؤلاء فقد جمعنا كل الأصوات التي أوردوها ورمزنا لها برموز الألفباء الصوتية الدولية (A.P.I) في صيغتها الأخيرة سنة 1979..كل ذلك في الجدول رقم (2) الذي أوردنا فيه الرموز الصوتية الدولية، ووضعنا فيه العلامة + أمام كل الذين ذكروا الصوت تحت مصطلحاتهم الواردة أمام كل منهم:

الجدول رقم (2)

أشباه الصوائت أو ما في معناها من خلال خمسة مراجع

الرموز الدولية / المؤلفون ومصطلحاتهم	j	ɰ	w	ɥ	ʋ	ɹ	ɻ	ç	ħ	ʕ	ɦ	ʔ
كليزون(أشباه الصوائت أو الانزلاقيات)	+		+			+					+	
أبركرومبي(الصائتيات اللامقطعية)*	+		+	+		+					+	
تشومسكي/هالي(الانزلاقيات1، 2)	+		+								+	+
تغريد عنبر(الصوامت المضيّقة)**	+		+	+				+	+	+		
ج.ص.د.(الاحتكاكيات الواسعة)***	+	+	+	+	+	+	+					

* ينظر: أبركرومبي 88: 122-

** حول هذا المفهوم تنظر الفقرة 5.1- أعلاه

*** تحت هذا العنوان أوردت الجمعية الصوتية الدولية معظم أشباه الصوائت، ولكنها أوردت بعضها الآخر تحت عناوين أخرى . ينظر الجدول الآتي رقم (3)

ففي هذا الجدول نلاحظ أن الـ (ج.ص.د) هي التي أوردت أكبر عدد من أشباه الصوائت وأن الصوتين المتفق إجماعا على أنهما شبها صائتين هما "الياء" و"الواو" [j] ، [w] وأن بعض الأصوات(25) تبدو غريبة عن المفهوم المستخلص من التعاريف الســـابقة في(**2.1**-،**3.1**-)؛ وربما يتعلق الأمر بأصوات ينبغي تمثيلها برموز أخرى خارج الألفباء الصوتية الدولية أو استعمال علامات إعجام (Signe diacritique) للرموز التي يبدو لنا تمثيلها لأشباه

الصوائت غريبا، وتوضيحا لهذا، ثم لإبراز بعض الخواص النطقية لكل هذه الأصوات، نضعها في جدول الألفباء الصوتية الدولية في صيغتها المشار إليها سابقا:

الجدول رقم (3)

أشباه الصوائت والانزلاقيات من خلال جدول(A.P.I)

المخارج / الصفات		حنجرية	حلقية	شفوية–أقصى حنكية	شفوية–حنكية	لهوية	أقصى حنكية	حنكية	حنكية–لثوية	التوائية	أسناني–لثوية	شفوية–أسنانية	شفتانية
تيار رئوي	الجهر	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −	+ −
	أنفية												
	انفجارية	ʔ											
	احتكاكية ضيقة	ɦ	ʕ ħ					j ç					
	احتكاكية واسعة			w	ɥ		ɰ	j		ɻ	ɹ	ʋ	
	احتكاكية جانبية												
	جانبية												
	ارتجاجية												
تيار غير رئوي	قذفية												
	إغلاقية												
	تمطقية												
	تمطقي جانبي												

فمن هذا الجدول نستخلص ما يلي:

1– الهمزة [ʔ] المألوفة في بعض اللغات كالعربية هي صوت انسدادي محايد جهرا وهمسا، فـ **الهمزة الانزلاقية** إذاً صوت آخر لعله قريب من **همزة بين بين** عند العرب[26].

2– من المتعارف عليه، عند معظم اللسانيين،أن الهاء المجهورة [ɦ]، والعين [ʕ]، والحاء[ħ]، و"الكافين" الحنكيتين المجهورة والمهموسة [j] و[ç]، كلها أصوات احتكاكية "ضيقة"، أي صوامت خالصة ولكن بعضهم أدرجها، كما رأينا في الجدول رقم (2)، تحت عناوين تجمعها مع أشباه الصوائت.

3–أن الـ (ج.ص.د) أدرجت ضمن "الاحتكاكيات الواسعة" (أي أشباه الصوائت): **أ)** ثلاثة أنواع من "الواو"، إحداها شفوية–أسنانية [**ʋ**] غير مألوفة في معظم اللغات، والأخريان خلفيتان مشفَّهتان، أولاهما طبقية[**w**]، وهي المألوفة في كثير من اللغات، والثانية حنكية[**ɥ**]، وهي موجودة في بعض اللغات كالفرنسية. **ب)** نوعين من "الياء"، إحداهما حنكية [j]، وهي المألوفة في كثير من اللغات، والثانية طبقية [**ɰ**]، وهي توجد في بعض اللغات كالرومانية.ج) نوعين من "الراء" الاستمرارية (غير المكررة)، إحداهما بأسلة اللسان مع مقدم الحنك [**ɹ**]، والثانية التوائية [**ɻ**] (بالجزء الأسفل من أسلة اللسان مع الحنك).

وبالعودة إلى الجدول رقم (2) نجد أن الياء الحنكية [j] والواو الطبقية الشفوية [w] هما الصوتان اللذان اتفق جميع اللسانيين على أنهما شبها صائتين؛ ويبدو أن هذا الاتفاق يعود إلى أمرين:

– أولهما أن هذين الصوتين هما أكثر أصوات اللغات البشرية شبها بالصوائت، حيث ينطقان في نفس موضعي الصائتين [i] و[u] كما سنرى بعد قليل.

– وثانيهما أن التحقق النطقي لهذين الصوتين ما هو في الواقع إلا انتقال من صائت إلى شبه صائت أوالعكس، وهذا ما جعل بعض اللسانيين يعرف شبه الصائت رابطا إياه مباشرة بـ**الصائت المزدوج**، لأنه لا يتصور أحدهما إلا بتصور الآخر ، ومن هنا عمم بعضهم مفهوم المزدوج ليشمل كل المجموعات الصوتية التي تتجاور فيها الصوائت، والتي لو حاولنا أن نستقصي صورها المكنة لحصلنا (مع الاقتصار على الصوائت الرئيسية الثلاثة: الفتحة والكسرة والضمة) على اثنتي عشرة صورة يمكن تصنيفها إلى فئتين(27):

أ– فئة ينطق ثاني عنصريها كما تنطق أشباه الصوائت ويبقى أولهما صائتا خالصا، وهي فئة **المزدوج الهابط** (أو المزدوج الحقيقي) مثل:

1– فتحة + ياء [aj] في "بَيْت"
2– فتحة + واو [aw] في " كَوْن"
3– كسرة + ياء [ij] في "beat"(28)
4 – كسرة + واو [iw] في "*مِوْزَان"
5– ضمة + ياء [uj] في "*مُيْسِر"
6– ضمة + واو [uw] في "boot"(28)

ب– وفئة ينطق أول عنصريها كما تنطق أشباه الصوائت ويبقى الثاني صائتا خالصا وهي فئة **المزدوج الصاعد** (أو المزدوج المزيف) مثل:(29)

7– ياء+ فتحة [ja] في "يَذْهَب"
8– ياء + كسرة [ji] في المقطع الأوسط من "بُويِعَ"
9– ياء + ضمة [ju] في "يُذْهِب "
10– واو + فتحة [wa] في "وَصْل"
11– واو+ كسرة [wi] في "وِصَال"
12– واو + ضمة [wu] في "وُجُوه"

ونظرا لتعدد الفتحات والكسرات والضمات، وقبولها للتطويل، فإن عدد صور الازدواج الصائتي قابل للزيادة نظريا، ولكن المستعمل منها يختلف بين لغة وأخرى، ففي العربية مثلا لا تنطق الصور 3 و4 و5 و6، بينما تنطق كل الصور الأخرى مع قبول الحركات في أغلبها للتطويل المميز.

2.3– يتفق جميع الباحثين العرب والمستعربين المعاصرين على أن العربية الفصحى لم تستعمل في نظامها الفونولوجي من أشباه الصوائت إلا اثنين هما "الواو" و"الياء" اللذان تناولهما أغلبهم ضمن النظام الصامتي للعربية تحت عنوان فرعي استدراكي هو "أشباه الصوائت" أو ما في معناه، أو "الواو والياء" مباشرة، أما قدماء اللغويين العرب فيمكن أن نجد لدى بعضهم إحساسا بوجود نوعين من "الياء" ونوعين من "الواو". وسنحاول هنا استخلاص أفكار المحدثين أولا ثم القدماء ثانيا حول طبيعة الواو والياء شبهي الصائتين.

1.2.3– يعد "بر شتراسر" من أوائل الذين عبروا عن رأي جديد حول الواو والياء العربيين، فقد صرح بمخالفته للقدماء في نظرتهم إلى هذين الحرفين، وذلك بأن عدهما «بين الحركات أو الحروف الصائتة»، غير أنه أثبت فرقا بينهما وبين الضمة والكسرة « من جهة بنية مقطع الكلمة»، وسمى الواو ضمة والياء كسرة إذا كانتا مركزا للمقطع، وسمى الضمة واوا والكسرة ياء إذا كانتا طرفا للمقطع، وقد سمى الواو والياء"شبهي الحركات" وقرر أنهما حرفا العلة في حالتهما الأخيرة (طرف المقطع)، وفي كل ذلك يعتبر أن الواو تطابق الضمة والياء تطابق الكسرة من حيث النطق والمخرج[30].

ومنذ وقت مبكر من هذا القرن كذلك تناول إبراهيم أنيس الواو والياء تحت عنوان " أشباه أصوات اللين"، فذكر أنهما صوتان «يستحقان أن يعالجا علاجا خاصا، لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين (يقصد الصوائت)؛ ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف»، ثم قارن بينهما وبين الضمة والكسرة من حيث موضع النطق ونوعه، فذكر أن موضع نطق الواو والياء هو موضع نطق الضمة والكسرة تقريبا، «غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (i)...وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة»، ثم يستخلص أن كلا من الواو والياء صوت انتقالي لأنهما تتكونان من موضعي الضمة والكسرة ثم تنتقلان إلى مواضع صوائت أخرى، ولهذا ولقصرهما وقلة وضوحهما السمعي قياسا على الصوائت «أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة (يقصد الصوامت)[31]، ثم بين وجوه النقص في وصف القدماء لهذين الصوتين.

وفي نفس الفترة تناول "كانتينو" هذين الصوتين في مقال له صدر قبل كتابه حول علم أصوات العربية، فرأى أن الصائتين [i] و[u] معرضان لتحققات خاصة " î "و" û " في بعض المواضع، وهذه التحققات تقوم صرفيا بوظيفة الصوامت، وذكر أنه لا داعي لاعتبار شبهي الصائتين[j] و[w] فونيمين متميزين عن الصائتين[i]و[u]، وعرض أمثلة متنوعة تبين مختلف صور ورود الياء والواو في صيغ العربية ثم استنتج من ذلك أنه «في الواقع لاوجود لصوائت مزدوجة أحادية الفونيم في العربية »[32].

ولم يضف اللسانيون العرب المعاصرون على العموم شيئا جديدا إلى وصف إبراهيم أنيس و"ج.كانتينو" للياء والواو(33)، فهذا تمام حسان مثلا يتناولهما ضمن الصنف الرابع من الصوامت وهو "الأصوات المتوسطة"، ويصف كلا منهما على حدة من الناحية النطقية، ويقارن بينهما وبين الكسرة والضمة، إلا أنه أضاف أن التفريق بين "نصفي العلة" وبين الكسرة والضمة يأتي عن طريق التشكيل والتطريز اللغوي «حيث تأتي الواو والياء بعد صائت وقبله، ولا تأتي الضمة والكسرة كذلك...»(34)، وهذا سعد مصلوح يتناول الصوتين نفس التناول ولكن بدقة أكثر، وكذلك فعل من قبله سلمان العاني معتمدا على التجربة والمختبر، فجاء وصفه في معظمه جديدا، إذ كان فيزيائيا (أكوستيا) أكثر منه نطقيا(3).

2.2.3- أما في التراث اللغوي العربي فإن وصف الياء والواو شبهي الصائتين أقل وضوحا من وصف المعاصرين، لأن القدماء لم يميزوا غالبا في وصفهم النطقي لـ"الياء" و"الواو" بين حالتيهما الصائتية وشبه الصائتية، كما لم تميز الكتابة العربية أيضا بين هاتين الحالتين ، ولكننا مع ذلك نجد عندهم، حين يتحدثون عن بعض الظواهر الصوتية/الصرفية، إحساسا بتميز الياء والواو «الحيتين القويتين عن الياء والواو الميتتين الضعيفتين»، وإن كان شرحهم لمظاهر هذا التميز غير تام؛ فأول من نجد عنده هذا الإحساس هو الخليل وتلميذه سيبويه ومن رددوا أقوالهما كالعادة. وعند بعض المتأخرين من علماء التجويد خاصة وصف لهذا التميز أكثر وضوحا كما يستخلص من مجموعة نصوص اطلعنا عليها ولا يتسع المجال هنا لسردها والتعليق عليها(36).

4- من وظائف الواو والياء في العربية :

1.4- يفهم من الفقرات السابقة أن التحقيق النطقي للياء والواو الصامتتين ما هو إلا عملية انتقالية من صائت إلى شبه صائت أو العكس ، وفي جرد الصور الممكنة لهذا الانتقال، في نطاق النظام الفونولوجي للعربية، نلاحظ أن جميع الصور التي يقتضيها التوزيع التأليفي للياء والواو غير المدّيتين مع الصوائت القصيرة والطويلة – جميع هذه الصور قد وردت لها أمثلة من الألفاظ العربية، باستثناء صورة واحدة لم نجد لها مثالا مستعملا ، وهي الصورة[j: i] ، ومن الصور ما هو قليل التنوع في الأمثلة، ومنها ما هو نادر...

كما نلاحظ أيضا أن كلا من الواو والياء (غير المديتين) تقع هامشا للمقطع إما قبل قمته وإما بعد هذه القمة، وهذا ما يؤكد صامتيَّتَها وعدم كونهما جزءا غير منفصل مما يسمى في لغات أخرى بـ" الصوائت المزدوجة"، بدليل إمكان استبدال غيرهما من الصوامت بهما، في جل مواقعهما، مع بقاء الصوائت المحيطة بهما، ويكفي لتأكيد هذا مقارنة كل مثال بميزانه الصرفي. ومعنى هذا أن العربية ليس فيها "صوائت مزدوجة" على المستوى الفونولوجي (خلافا لعبد الصبور شاهين الذي له رأي آخر)، وإن كانت بعض التأليفات الصوتية التي تتجاور فيها الصوائت مع الياء والواو الصامتتين تبدو على المستوى الصوتياتي كأنها صوائت مزدوجة ؛ ولا ينبغي أن ننخدع ببعض المقارنات التي قد توحي بتقابل فونولوجي بين "الصائت المزدوج" من جهة وبين الصائت المفرد من جهة أخرى، كما في "عَيْلَم" و"عَلَم" اللذين مثل بهما "أ.رومان"(**37**)؛ فلم لا نقول هنا إن "عَلَم" تتقابل مع "عَيْلَم" كما تتقابل ألفاظ أخرى هكذا(38):

دَرْبَلَ	ص ح	ص	ص ح ص ح ص ح	/ ø/ ~ /r /
دَبَلَ	ص ح	ø	ص ح ص ح	
عَبْهَل	ص ح	ص	ص ح ص ح (ْ)	j / ~ /b /
عَيْهَل	ص ح	ىْ	ص ح ص ح (ْ)	
دَوْرَق	ص ح	وْ	ص ح ص ح (ْ)	ø/ ~ /w /
دَرَق	ص ح	ø	ص ح ص ح (ْ)	
عَيْلَم	ص ح	ىْ	ص ح ص ح (ْ)	/ ø / ، / a / } / ~ / j /
عَلَم	ص ح	ø	ص ح ص ح (ْ)	
عَالَم	ص ح	ح	ص ح ص ح (ْ)	
صَانِعاً	ص م	ص ح ص ح	(ْ) ...	/ ø / ، / n / } / ~ / j /
صَانِعَ حِبَال	ص م	ص ح ص ح	ø	ص ح ...
صَانِعَيْ حِبَال	ص م	ص ح ص ح	ىْ	ص ح ..

أي أن الياء في"عَيْلَم" يقابلها فراغ مكانها في عَلَم، كما يقابلها "فتحة" أخرى مكانها في "عَالَم"، أو بعبارة القدماء : الياء زائدة في "عَيْلَم" والألف زائدة في "عَالَم" ، أما الفتحة التي بعد العين في الألفاظ الثلاثة فهي باقية في "عَلَم" وفي "عَيْلَم" ومطوَّلة "في "عَالَم" بـ "إضافة" فتحة أخرى إليها(3). وهكذا تتقابل الألفاظ الثلاثة بالفونيمات / j/ و /Ø/ و / a/(4).

2.4– وفي كل الأحوال تبقى الياء والواو غير المدّيتين متميزتين عن باقي صوامت العربية صوتياتيا وفونولوجيا؛ أما تميزهما الصوتياتي فهو أصل تسميتهما بـ "شبهي الصائتين"، وأما تميزهما الفونولوجي فيتجلى في كونهما "ليّنتين" إلى درجة إمكان ورودهما مع صامتين آخرين في بعض صيغ العربية، بشروط خاصة ليس هذا محل شرحها، مثل "دُوَيْبَّة" التي يمكن تمثيلها هكذا:

د ـُ و ـَ ى ب ب ـَ ت ـُ(ن) = ص ح: ص ح ى ص: ص ح : صْ ح (ْ)

ومعلوم أن النظام المقطعي للعربية لا يقبل تجاور أكثر من صامتين. ومن نتائج هذا اللين في الياء والواو أن تجاورهما مع الصوائت أو فيما بينهما ليس حرا، بل هو خاضع لعدد من القيود؛ إذ قد تقع إحداهما في بعض الصيغ القياسية مواقع "ضعف" تعرضها لـ "التعديل" أو "الحذف".

3.4– ولعل هذا اللين الذي يميز الياء والواو عن غيرهما من صوامت العربية هو الذي خول لهما القيام بوظائف لغوية متنوعة، فهما تؤديان من جهة وظائف لا تؤديها إلا الصوامت، كتكوين جذور الاشتقاق في معجم هذه اللغة، وتشاركان من جهة أخرى الصوائت في أداء وظيفة الزوائد في الصيغ القياسية لاشتقاق الألفاظ من الجذور المعجمية، وتقومان بوظائف صوتية وتركيبية أخرى سنذكر بعضها بعد قليل. وقد كان اللغويون القدماء يشيرون إلى بعض هذه

الوظائف وإلى درجة تردد الواو والياء في الخطاب العربي، ولكنها كانت إشارات لا يعززها الإحصاء الدقيق، ولا يفصل فيها غالبا بين حالتيهما الصائتية والصامتية. فهذا ابن دريد في مقدمة **جمهرة اللغة** يقول: «واعلم أن الألف والياء والواو أمهات الزوائد، لأنهن حروف المد واللين...»، ثم يذكر أن «أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة...»[41] ، ويذكر ابن جني أن كلا من الواو والياء «يكون في الكلام على ثلاثة أضرب: أصلا وبدلا وزائدا»[42]. واهتموا بالأفعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء، فجمعها ابن مالك

(–672) في منظومة أوردها السيوطي في **المزهر**

[43]. وسنحاول فيما يلي التركيز على أهم الوظائف اللغوية للياء والواو في العربية معتمدين على الإحصاءات التي عرضنا خلاصات لبعضها في جداول شاملة لا يتسع المجال هنا لعرضها:

1.3.4– فمن أهم وظائفهما أنهما تشاركان بنصيبهما في تكوين جذور الاشتقاق ضمن معجم اللغة العربية، وهذا ما يقصده اللغويون عادة حين ينسبون إليها وظيفة الصوامت[44]. ويمكن أن نلاحظ مقدار إسهام كل من الواو والياء في تكوين جذور أكبر معجم للغة العربية، وهو **تاج العروس**، وذلك إذا انطلقنا من أن نسبة التردد الوسطي لكل فونيم صامتي من فونيمات العربية هو 28/1(= 3,57 %)، فندرك أن الواو تحتل رتبة متوسطة (هي الثانية عشرة بنسبة 3,51%) في ترددها العام خلال مجموع جذور تاج العروس ثلاثية ورباعية وخماسية، أما الياء فتأتي في رتبة متأخرة نوعا ما (21، بنسبة 2,38%). وإذا اقتصرنا على الجذور الثلاثية وجدنا أن نسبة تردد كل من الواو والياء ترتفع لتحتل الواو الرتبة الثانية (بنسبة 5,89%)، والياء الرتبة العاشرة (بنسبة 4,01%). ومعنى هذا أنه لا ينافس الواو الصامتة في قوة ترددها خلال الجذور الثلاثية إلا الراء (ونسبة ترددها 5,90%)، وأن الياء أكثر ترددا في هذه الجذور من ثمانية عشر فونيما تأتي دونها في الترتيب.

2.3.4–وللواو والياء وظيفة ثانية متميزة هي مشاركتهما بنصيبهما في تنويع صيغ الاشتقاق من الجذور المعجمية، عن طريق "زيادتهما"، وفق نظام توزيعي مطرد غالبا، ضمن أصول هذه الجذور و زوائدها الأخرى. ويقوم بهذه الوظيفة في العربية الصوائت بالدرجة الأولى وفئة قليلة من الصوامت[45]، كما هو واضح في الجدول رقم (4) الذي هو مختزل من جدول أعم يشمل الصوائت أيضا ؛ فنظام الاشتقاق القياسي في اللغة العربية يستعمل 288 وزنا تعتمد على المكونات الآتية:

أ– الأصول: وهي دائما صوامت يرمز لها في الأوزان بالحروف ف.ع.ل. كما هو معروف، وتقوم بهذه الوظيفة كل صوامت العربية الثمانية والعشرين.

ب– الزوائد، وهي:

ب.1- إما صوائت قصيرة أو طويلة ترد في الميزان الصرفي كما ترد في الألفاظ الموزونة، ويقوم هذه الوظيفة كل صوائت العربية.

ب.2- وإما صوائت معينة اختارتها العربية من بين صوامتها الثمانية والعشرين لتسند إليها هذه الوظيفة الإضافية، وعددها سبعة رتبناها في الجدول رقم (4) ترتيبا تنازليا حسب نسب ترددها ضمن الأوزان الـ 288 ومن بينها الياء والواو:

الجدول رقم (4)

يبين تردد أشباه الصوائت الزائدة في 288 وزنا قياسيا للصيغ الصرفية

المعطيات الإحصائية / الأصـوات	العدد القاعدي	التردد الوسطي(1)		التردد الفعلي		النسبة المئوية داخل الصنف (2)	
		العدد	%	العدد	% (3)	الوسطية	الفعلية
الفونيمات	34	2564	100	2564	100	100	100
الصوامت وأشباهها	28	2111	82,35	1503	58,62	100	100
الصوائت	6	452	17,63	1061	41,38	100	100
الأصول والزوائد	34 (4)	2564	100	25	100	100	100
الأصول	28	922 (5)	35,96	1080	42,12	80	71,86
الزوائد	13 (6)	980	38,23	1484	57,88	–	–
الصوامت الزائدة	7	528	20,59	423	16,50	20	28,14
أشباه الصوامت منها	2	151	5,88	61	4,06	7,14	4,06
3. التاء الزائدة (7)	1	75,41	2,94	143	5,58	3,57	9,51
7. النون الزائدة	1	75,41	2,94	81	3,16	3,57	5,39
8. الهمزة الزائدة	1	75,41	2,94	79	3,08	3,57	5,25
9. الياء الصامتة الزائدة	1	75,41	2,94	39	1,52	3,57	2,59
10. الميم الزائدة	1	75,41	2,94	37	1,44	3,57	2,46
11. السين الزائدة	1	75,41	2,94	22	0,86	3,57	1.46
11. الواو الصامتة الزائدة	1	75,41	2,94	22	0,86	3,57	1.46

(1) يستخرج بضرب العدد القاعدي الأدنى في 2564 / العدد القاعدي الأعلى باستثناء ما ورد في التوضيح (6) الآتي

(2) أي داخل المجموعة الخاصة : الصوامت وأشباهها أو الصوائت أو غير ذلك.

(3) أي نسبة العدد الترددي الفعلي إلى العدد العام للفونيمات.

(4) هذا العدد هو مجموع الصوامت والصوائت عامة ؛ وإذا اعتبرنا أن سبعة من الصوامت تكون أصلية وزائدة فإن العدد القاعدي سيصبح

هو: 28+7+6 =41. وبذلك ستتغير كل المعطيات الأخرى.

(5) هو مجموع الفونيمات التي تكون زائدة : 7 صوامت + 6 صوائت ، وبهذا تلعب سبعة من الصوامت دورين فتدمج في خانتين.

(6) هو نتيجة ضرب عدد الصيغ ذات الأصول الثلاثية في 3 و ذات الأصول الرباعية في 4، ثم الجمع بينهما: 230x3+58x4 =922.

(7) الرتب الفارغة هنا تحتلها الصوائت في الجدول العام.

ففي هذا الجدول نلاحظ أن نسبة تردد الواو الصامتة الزائدة ضئيلة جدا، حيث لم ترد إلا 423/22 مرة لمجموع الصوامت السبعة الزائدة (أي بنسبة 20 5%، مع العلم أن نسبة التردد الوسطي هي 7/1 أي 14,2 %)، أما الياء الزائدة فهي أكثر ترددا من الواو، دون أن تصل إلى التردد الوسطي (حيث وردت 423/39 مرة، أي بنسبة 9,22%). والسبب الأساسي في تردد الياء أكثر من الواو في صيغ العربية هو أن الياء من **حروف المضارعة** وأنها حرف التصغير الوحيد، بينما لا نجد الواو إلا في صيغ قليلة بعضها نادر الاستعمال (مثل **اِفْعَوْعَلَ** ومشتقاتها).

3.3.4- وتقوم الياء والواو الصامتتان بأداء وظيفة لغوية ثالثة هي المشاركة في تكوين بعض الوحدات اللغوية "المبنية" الكثيرة الشيوع في الخطاب العربي(حروف المعاني والأسماء الموصولة والضمائر وأسماء الإشارة وبعض الظروف)؛ فمن إحصاء أجريناه حول 149 من هذه الوحدات ولخصنا نتائجه في جدول آخر غير هذا توصلنا إلى أن الياء والواو الصامتتين تحتلان الرتبتين التاسعة والخامسة عشرة، على التوالي، بين الفونيمات التسعة والعشرين المشاركة في تكوين هذه الوحدات (بنسبة 51 4% و 1% على التوالي، والنسبة الوسطية هي 3,45%). وإذا اعتبرنا نسبة ترددهما بين الصوامت خاصة وجدنا أنهما تحتلان الرتبتين الخامسة للياء والعاشرة للواو(بنسبة 83 7% و2,90% على التوالي، والنسبة الوسطية هي 4,35%). ويلاحظ هنا أيضا أن الياء أكثر ترددا من الواو ، وستزداد نسبة تردد الياء إذا اعتبرنا المواقع السياقية التي تطرأ فيها الياء الصامتة على بعض الوحدات المؤسس عليها الإحصاء (إِلَيْك، عَلَيْهم، اللذَيْن، لدَيْه، ترضَيْنَ، المصطفَيْنَ...)[46].

4.3.4– ولللياء الصامتة وظيفة رابعة لا تشاركها فيها الواو الصامتة وهي كونها علامة تثنية وإعراب في المثنى المنصوب والمجرور(4).

5.3.4– أما كون الياء والواو من "حروف الإبدال" في العربية فلا نعدّ ذلك وظيفة لغوية لهما، لأن إبدالهما من غيرهما من الحروف إما أن يكون ظاهرة لهجية، وهو الغالب، وإما أن يكون ظاهرة صرفية/صوتية ليس هذا موضع الحديث عنها.

4.4– وختاما لهذا البحث نقف وقفة قصيرة على نسبة تردد الواو والياء في النص القرآني الكريم، لنقارن بين معطيات إحصاءات جمعناها في جداول من بينها الجدول رقم (4) السابق والجدول رقم (5) الآتي:

1.4.4– فمن المفترض في النص القرآني أن يجمع كل معطيات الجداول الثلاثة (الجذور، الأوزان، الوحدات الشائعة)، ولذلك كان من المنتظر ألا تتفق نتائج الإحصاء في القرآن الكريم مع نتائج أي من الإحصاءات الثلاثة بمفرده، لأن كلا من الجذور والوحدات الشائعة تتعرض في النص القرآني لتحولات صوتية يحتمها السياق التأليفي لأصوات الألفاظ، أي أن إحصاء ألفاظ القرآن الكريم ينطلق من "أصوات الكلام" بينما ينطلق إحصاء ألفاظ **التاج** والأوزان والوحدات الشائعة من "أصوات اللغة" ؛ والفرق بين أصوات اللغة وأصوات الكلام معروف. وكان من نتائج هذا:

الجدول رقم (5)

يبين درجة تردد الصوائت وبعض الصوامت في القرآن الكريم(*)

المعطيات الإحصائية / الأصوات	العدد القاعدي	العدد(1) الترددي	التردد الوسطي		التردد الفعلي		النسبة المئوية داخل الصنف (2)	
			العدد	%	العدد	% (3)	الوسطية	الفعلية
الفونيمات	34	61510	1809x34	100	1809x34	100	100	100
الصوامت وأشباهها	28	35381	1809x28	82,35	1263x28	58,62	100	100
الصوائت	6	26129	1809x6	17,63	4355x6	41,38	100	100
الحركات		19757	1809x3	8,82	6585x3	32,12	100	75,61
حروف المد		6372	1809x3	8,82	2124x3	10,36	100	24,39
أشباه الصوائت		3368	1 x2	5,88	1684x2	5,47	50	9,52
1. الفتحة (3)	1	11475	1809	2,94	11475	18,65	50	43,92
2. اللام	1	4989	-	-	4989	8,11	7,14	14,10
3. الكسرة	1	4649	-	-	4649	7,56	16,67	17,79

(*) يقارن ا (أنيس 79: 238-) ؛ و أ.م.عمر 76: 339-

4. النون	1	4282	״	״	4282	6,96	3,57	12,10
5. الألف	1	3857	״	״	3857	6,27	16,67	14,76
6. الميم	1	3772	״	״	3772	6,13	3,57	10,66
7. الضمة	1	3633	״	״	3633	5,91	16,67	13,90
11. الواو الصامتة	1	1830	״	״	1830	2,97	3,57	5,17
14. الياء الصامتة	1	1538	״	״	1538	2,50	3,57	4,35
15. الواو المدّية	1	1408	״	״	1408	2,30	16,67	5,39
19. الياء المدّية	1	1	״	״	1107	1,80	16,67	4,24

جميع أعداد هذا العمود مستخرجة من إحصاء الدكتور علي حلمي موسى

تستخرج بنسبة العدد القاعدي (أو الترددي) الجزئي إلى العدد القاعدي (أو الترددي) الكلي للصنف

الترتيب التنازلي هنا مبني على نسبة التردد الفعلي لكل فونيم إلى العدد الترددي العام (61510) ، والرتب المحذوفة تحتلها بعض الصوامت الأخرى.

2.4.4–أن تردد كل من الواو والياء الصامتين في القرآن الكريم تجاوز المعدل الوسطي بين الصوامت العربية الثمانية والعشرين (بنسبة **17 5**% للواو و**35 4**% للياء. ولكن نسبة ترددهما العام بين الفونيمات الأربعة والثلاثين بقيت قريبة من المعدل الوسطي (بنسبة **2**% للواو و**2,50**% للياء). وهذه النسب تختلف عن النسب الواردة في الإحصاءات الأخرى.

3.4.4- أن الترتيب التنازلي العام لكل من الواو والياء الصامتين قد باعد بينهما في جذور **التاج**، إذ احتلت الواو الرتبة 12ًوالياء الرتبة 21َفي مجموع الجذور (والرتبتين الثانية للواو، والعاشرة للياء في الجذور الثلاثية خاصة) ، وفي النص القرآني تقارب الترتيب التنازلي العام للفونيمين، فاحتلا الرتبتين 11ً للواو و14ً للياء، وهذا ناتج عن تداخل معطيات الجداول الأخرى في النص القرآني (الجدول رقم 5).

4.4.4– وأخيرا نلاحظ أن تردد الواو الصامتة في كل من جذور **التاج** وألفاظ القرآن الكريم يبدو متناقضا مع ما يردده القدماء من أن الياء أخف عليهم من الواو[48]، حتى لو أخذنا بما نقله السيوطي من أن «المراد بالثقل في حروف العلة الضعف، لا ضد الخفة...»[49]، لأن الحرف الأضعف (وهو الواو هنا) معرض للتحولات أكثر من الحرف الأقوى (وهو الياء)، فكان من المتوقع أن يقل الأول (الأضعف) بين أصوات الكلام (النص القرآني)، وأن يتردد الثاني (الأقوى) أكثر منه، غير أن الذي أسفر عنه الإحصاء هو العكس كما هو واضح من الجدول رقم (5). ولعل السبب في غلبة الواو (الضعيفة) للياء (القوية) هنا أن كثرة الياء في الأوزان والوحدات الشائعة لم تصل إلى تدارك كثرة الواو في جذور المعجم العربي رغم تعرض الواو للتحول الصوتي أكثر من الياء[50].

هوامش البحث

(1)أرسطوطاليس 52: 55 ؛ 103 : Aristote 80 ؛ وما دام المترجم (ع.ر.بدوي) قد اختار للصنفين الأولين (Phônèenو Hémi-phônon) ترجمة حرفية، فإن الترجمة الحرفية للصنف الثالث أيضا (aphônon) هي "لامصوِّت"، كما في الترجمات العربية القديمة. والمقابلات العربية للحروف التي مثل بها "أرسطو" هي السين والراء ، على التوالي، لأنصاف المصوِّتات، و"الـگاف" والدال للصوامت(أو اللامصوتات). وتنظر طريقة اختصار المراجع في هذه الهوامش ضمن الملاحظة التي قدمنا بها قائمة المراجع في آخر البحث.

(2) ينظر: مونان 72: 86 ؛ Robin 89 , in (Platon 89 : 1345, n. p667) ; Robin 90 , in (Platon 90 : 1513, n.5 p559)

(3) سنحافظ مؤقتا على ترجمة ع.ر.بدوي لمصطلحات "أرسطو" أثنا ء مناقشتنا لهذا التعريف.

(4) (hémi phônon)

(5) Robert 85,8 : 689,692

(6) Sonante

(7) Consonante

(8) سوسير 85: 95-96

(9) Rosselot /Laclotte 27 : 54-55

(10) Mounin 74 : 297 ؛ وقد استعمل المعجم أمثلة من الاسبانية ، وفي مدخل Glide منه توضيحات أخرى بخصوص هذا المفهوم عند "جاكبسون" المخالف من بعض جوانبه لما هو شائع : p : 154

(11) سيبويه 75 ،4: 193 ؛ وينظر أيضا :3: 469 ، حيث وصف واو " جَدْوَل" بأنها حية .

(12) ابن جني 85 ،1: 19–20.

(13) القيسي 73: 101–102

(14) الحمد 86: 158.

(15) التفتازاني 54: 24 ؛ التهانوي ، 1: 355 ؛ ويقارن بحسان 73: 70 ؛ الحمد 86 : 354

(16) التفتازاني : م.ن ؛ التهانوي: م.ن ؛ الحمد 86: 356

(17) الجرجاني 85: 116

(18) وقد يضاف إلى هذا أن بعض الباحثين يترددون بين الترجمتين (شبه ، نصف) في نفس الكتاب أو المقال (ينظر مثلا: ع.ص.شاهين 80 ب: 31 ، 168 ؛ بتي 79: 172–174 ؛ أ.م. عمر 83 : 149 ، 277 ، 283)

(19) م.البعلبكي 80: 833 ؛ Keller 72,3 : 2360 ; Colin 79 : 203 ; Larousse 86 : 1718

(20) المطلبي 84: 41 (الهامش 69)

(21) م.ن.: 42

(22) تنظر الفقرة(3.1–) من البحث.

(23) غالي 66: 118–119.

(24) أبركرومبي 88: 122 ؛ عنبر 80: 312

(25) خصوصا صوت الهمزة[ʔ] الوارد ضمن الانزلاقيات عند "تشومسكي/هالي" ، ويبدو أنه هو المقصود عندهما بـ :الانزلاقي اللامستمر (أي الانسدادي) ينظر : Chomsky / Halle73 : 294

(26) وفي العاني 83: 95 ما قد يبرر وجود همزة انزلاقية في العربية

(27) سوسير 85: 100– ، السعران 62: 180 ؛ الأنطاكي 69: 242 ؛ أ.م عمر 76: 118 ؛ Fleish 61: 67 ؛ Gleason: Ibid

(28) وفي النطق المعاصر لبعض الكلمات الإنگليزية يظهر بوضوح ما يسميه **گليزون** بالجزء الثاني من النواة المقطعية في مثل beat وboot اللتين تنطقان bijt و buwt . ينظر Gleason 69 :27 ؛ پاي 83: 81 الهامش (1) ؛ بروكلمان 77: 67

(28) الهامش السابق

(29) لا يعتبر **مالبرگ** هذه الفئة صوائت مزدوجة، لأنها في نظره صوامت تليها حركات (Malmberg 79: 44)

(30) برگشتراسر 81: 29.

(31) أنيس 79: 42 ؛ ونفس الوصف لـ [j] و[w] نجده عند 97: Robins 73 ؛ وبدقة أكثر عند Gleason 69: 35

(32) Cantineau 46: 126 ويقارن بـ "كانتينو" 66: 137.

(33) ينظر : السعران 62: 180 ؛ بشر 75: 133 ؛ أ.م.عمر 76: 283 ؛ الضعيف 79: 169– ؛ ع.ص.شاهين 80 ب : 170.

(34) حسان 74: 107

(35) مصلوح 80: 211 ؛ العاني 83: 59 ؛ ويقارن بـ: عنبر 80: 228 ؛ القضماني 84: 13–14 ، 23

(36) سبق إيراد بعض تلك النصوص في الفقرة (6.1–) من البحث.

(37) Roman 75 :341

(38) ص: صامتا ؛ ح = صائتا قصيرا : Ø = صفر فونيم ؛ (ن) = تنوينا ؛ و = شبه صائت خلفي ؛ ى = شبه صائت أمامي ؛ ~ = يقابل ؛ م = صائتا مدّيا .

(39) حول كون الألف تساوي فتحتين ينظر:عبده 79: 33–، وإن كان استشهاده بنص لابن جني في غير محله، لأن ابن جني لا يقصد ما فهمه منه الباحث

(40) كما تتقابل وظائف الفونيمات /(◌ٌ)/ و/Ø / و/ j / في آخر لفظ "صَانِع" في الأمثلة الثلاثة الأخيرة.

(41) ابن دريد 87 ، 1: 48 ، 50 ؛ وينظر أيضا: ابن يعيش ،ش.المفصل،9: 141–

(42) ابن جني 85 ، 2: 573، 729–.

(43) السيوطي [45]،2: 279–

(44) ينظر : البكوش 87: 53 ؛ أ.م.عمر 76: 283 ؛ حسنين 81: 17 ؛ المطلبي 84: 42 ؛ Cantineau 46: 126, Fleisch 61-66

(45) حول تفسير القدماء لاختيار العرب هذه الحروف بعينها لهذه الوظيفة ينظر: ابن يعيش، ش.المفصل، 9 : 141–

(46) وللواو أيضا حالات مثل هذه ولكنها أقل بكثير من حالات الياء، إذ تقتصر على تحول الواو الصائتة، ضميرا أو علامة جمع، إلى واو صامتة في سياقات صرفية/صوتية خاصة (تَسْعَوْنَ، الأَعْلَوْنَ).

(47)i قد يحتاج اعتبار الياء وحدها علامة إعرابية إلى نقاش من الوجهة الصوتية، لأن الفتحة التي تسبقها وتلازمها تغري باعتبار العلامة في الواقع صائتا مزدوجا (أو انزلاقيا [aj]) ، وفي الفقرة (**1.4–**) أعلاه مناقشة مفصلة للمسألة.

(48) سيبويه 75، 4: 37 ، 338–349

(49) السيوطي 84، 2: 38.

(50) ينظر في (موسى/شاهين 73: 40) تفسير آخر نطقي لتردد الواو أكثر من الياء في جذور التاج